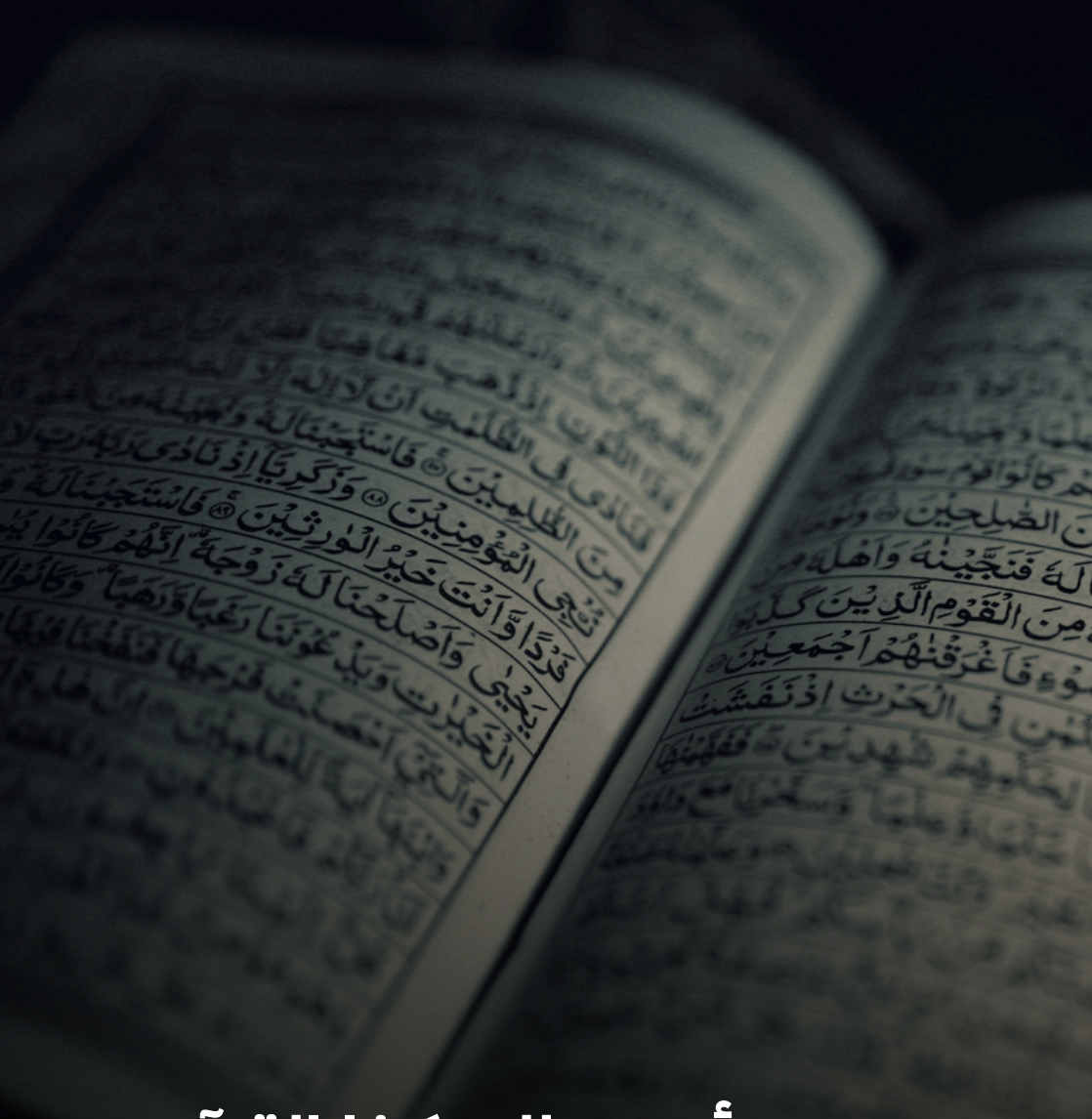


وأوحيَ إليَّ هَٰذا القرآن

هذه رسالة خاصة من القلب إلى القلب ومن الروح إلى الروح ومن العقل إلى العقل...

هذه كلمة كُتِبت شكرا للّه على نعمة القرآن... الذي لا تستقيم الحياة بدونه...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وَٱلۡعَصۡرِ ... إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ...

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ

وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ..

[سورة العصر]

كلمة أولى

أخي القارئ، أختي القارئة،

أكثرُ المُسلِمين اليوم يَحفَظُ سُورة العَصر ويُصلّي بها ولا يُدرِك أنه يقرأ كَلمات في حقيقتها هي رِسالةٌ مَقصودةٌ مِن ربِّ الأرضِ والسّماوات إليّ وإليكَ وإلى كل مُسلم، بل إلى كلّ إنسان...

آيات القرآن رسائل إلى الإنسان.. تَصله مِن رَبِّـه الحَنَّان المَنَّان... فهل تتلقى أيُّها الإنسان رسائل الرَّحمَن مِثلَمَا تتلقى الرسائل من أُمِّك وأبيك وصاحِبك وبَنِيك... هل تَقرأ وتَسمعُ بِفَهمٍ وتَمعُّنٍ لِكَلامِ اللَّهِ ورسائِلِه – المبثوثة في آياته – كما تقرأ الرسائل التي تَصِلُكَ في هاتفك، وكما تَسمَعُ الكلمات من معارفك وأحبابك وسائر خِلَّانِك؟

وإني لأرجو من الله أن تكون هذه الكلمات في هذا الكتاب معينة لك أيها القارئ – أَصلَحَ اللَّهُ حَالَك – من أجل أن تفهم وتستوعب خطورة هذا الأمر.. ثُمَّ لِتَرَى الحَلَّ والمَخرَجَ، عَسى اللَّهُ أن يوفقنا لخيري الدنيا والآخرة فنكون من المُفلِحين المرضيين...

وفقنا الله لما يحب ويرضى

ابن عمّنا رشيد

تخيل معي أننا أقرباء... وبينما نحن جلوس في بيت الجدة، ولنا قريب ثالث – اسمه رشيد – نتحدث ونتسامر... فإذا بنا نسمع صوت الواتساب من هاتف... فقد جاءت رسالة إلى قريبنا هذا. فيفتحها وينظر فيها، فإذا هي أمه تطلبُ منه أن يأتيها بحاجة مستعجلة من السوق.

رشيد ينظر في الهاتف ويُقَبِّلُه ويضعه فوق الطاولة.

فنقول له: ما هذا يا هذا؟ لماذا قبّلت الهاتف؟

فيقول: إنها رسالة من أمي.

فتتعجبُ أنتَ، وتقول له: ما شاء الله لابد أنك تُكنُّ لِأمك حبا عظيما.

فيقول: طبعا.

فنقول له: ماذا قالت لك؟

رشيد: ليس مهم ما قالته. فأنا أحبها وأحب كلامها. ومن أجل ذلك سأحرص على أن أقرأ رسائلها دائما.

فنأخذ الهاتف من فوق الطاولة ونفتح الرسالة، فنجد فيها: "يا ابني الله يرضي عليك أحتاج أمرا من السوق وأنا في عجلة من أمري" فنقول له: هل قرأت الرسالة جيدا؟ فيقول نعم...فنقول: فماذا ستفعل؟.. يقول: سأحفظها وأجودها وأترنم بها... تقول له، يا أخي الله يهديك، ما الذي تقوله؟ هل فهمت كلام أمك...

فيقول، لم أفهمه جيدا ولكني سأحفظه وأردده دوما.

ثم، تَـنظُرُ إليّ... فنتبادل نظرات المتعجب المُشفِق الذي يرى مجنونا قد ذهب عقله ولكننا لسنا على يقين بأن ابن عمنا رشيد هذا قد ذهب عقله فعلا، فأقوم إليه وأقول له يا ابن خالتي، قم إلى أمك فافعل ما أمرتك به وإن لم تفعل فلا تدّعي حُـبَّها... ولكنه يُصرُّ على الرفض...
وهنا في هذه اللحظة... تُخالِجُ صَدركَ وتُراوِدُكَ مشاعر متضاربة... تَتعجبُ وتتساءَل، وفي الوقت ذاتِه تُشفِقُ وتغضبُ وتَحزن... تتعجب من هذا المشهد الغريب، وتتساءل هل هذا الشخص فعلا يحب أمه. فتتسرب إليك الظنون أن كلامه كان كَذِبا ونفاقا... ثم بعد ذلك تستوعب أنه لربما كان صادقا في تعبيره عن محبته لأمه... ولكنك تعلم أن الحب الصادق الحقيقي ينتهي بالمرء إلى الطاعة للمحبوب وحب الامتثال له واكتساب مرضاته... فتشفق على رشيد لأنك تظن أنه في حال ليست طبيعية... وقد تغضب منه لأنه ترك رسالة أمه معلقة بدون الإجابة التي تريدها منه... ثم تحزن له بعد ذلك، لأنك تُدرِكُ أن أمه ستسخط عليه وتغضب منه فتعاقبه أو تتبرأ منه، لأنه لم يفعل ما أمرته به...

أظنك فهمت قصدي...نعم... الأمر خطير خطير!! رشيد هذا – وما هو برشيد وليس له نصيب من اسمه – حاله كحال المسلم اليوم... ليس بيننا وبين رشيد، فرق بعيد... فالفرق بين رشيد والرشد، هو الفرق بين المسلم والإسلام.

مشكلتنا مع القرآن

" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا "

قبل الحديث عن طبيعة علاقتنا مع القرآن، دعني أشارك معك معنى هذه الرسالة التي قرأتها في العنوان:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

هذه الآية رسالة صاعقة من العظيم الجبار، مُقدِّر الأقدار يقول لك، لماذا لا يفهمون القرآن؟ ولا يستوعبون ما فيه من المعاني؟ ألا تعجب من هؤلاء الناس لا يُدرِكون المقصود من الكلام؟؟ كيف لا يصلون إلى المعنى وإلى الحقيقة التي جاءت في رسائلي؟...

ثم يُخبرك سبحانه أن هذه القلوب التي لا تصل إليها الآيات ولا تستقبل معاني الكلمات ولا تتأثر بها، فذلك بسبب الأمراض الكثيرة التي جعلتها مُغَلَّقة محكمة الإغلاق كما يكون الباب مُغلقا بالقفل... وهذه الأقفال – وهي الأمراض – هي مشكلتنا مع القرآن. وسأحدِثك عن ذلك في هذه الرسالة...عسى الله أن يشفينا منها.

وأول تلك الأمراض، موت غريزة الفهم وانعدام الرغبة في كشف الأسرار والوصول إلى الحقائق.

القفل الاول – موت الرغبة في الفهم

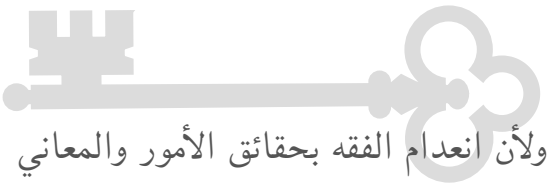
هذا قفل عظيم أصاب قلوبنا. فأنت تحفظ سورة الإخلاص وتقول "الله الصمد" ولا يهزك ولا يضرك ولا يؤلمك أنك لا تعلم معناها. فقد اكتفيت بترددها على لسانك ولو لم تصل إلى قلبك... ولن تصل إلى قلبِك مادام هذا القفل موجودا؛ وهو عدم الاكتراث للجهل. هذا مرض خطير، وهو أشد فتكا من السرطان المنتشر المتفشي في الجسد فيهلك صاحبه.

يعني كن صريحا مع نفسك. ومع ربِّك قبل ذلك. كيف يكون الحديث مع الإنسان، وكيف يستقبل النصيحة وكيف يتغير حاله، وهذا المرض قد تمكن من قلبه؟ مستحيل... مستحيل. أقسِمُ بالذي وهب العقول للبشر، أن هذا المرض من أخبث الأمراض التي تجعل الإنسان لا يصلُح للحياة، وينزل به هذا السلوك للبهيمية. اسمع قول ربنا الحكيم:

وَلَقَد ذَرَأنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرا مِّنَ ٱلجِنِّ وَٱلإِنسِۖ لَهُم قُلُوب لاَّ يَفقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعيُن لاَّ يُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُم ءَاذَان لاَّ يَسمَعُونَ بِهَا أُولَـٰٓئِكَ كَٱلأَنعَـٰمِ بَل هُم أَضَلُّ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلغَـٰفِلُونَ [الأعراف ١٧٩]

ذرأنا يعني خلقنا... ومعنى هذه الآية أن كثير ممن خلقنا سيدخلون جهنم. لماذا ياربي؟ ما الذي تسبب لهم في هذا المصير البئيس؟ **لأن لهم عقول لا يفقهون بها... تأمل من فضلك، واسأل نفسك، كيف؟ يعني ما الرابط بين دخول جهنم وعدم الفهم؟**

لأن قلة الفهم والاستيعاب ولأن انعدام الفقه بحقائق الأمور والمعاني والأسرار، جعلتهم يعيشون حياة لا يكترثون بالشر ولا بالخير، ولا يعلمون الحق من الباطل، وليس لهم قدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، فهم يخبطون في أقوالهم وأعمالهم ويتصرفون وفق أهوائهم وشهواتهم وما تُمليه عليهم عقولهم الفارغة. ولهذا السبب فهم عاشوا في هذه الدنيا حياة مليئة بالمصائب والبلايا والأخطاء، أو انغمسوا في المتع والشهوات والميولات حتى إذا رجعوا إلى مولاهم رب الأرض والسماوات، وجدوا أنفسهم أمام تبعات حياتهم التي بُنيت على الجهل بالله وأمره، فكان مصيرهم إلى النار والعياذ بالله... وكلها بدأت بمرض عدم العلم والفهم. وحالنا اليوم أسوأ من هذا الحال، لأن هذا المرض الذي ابتدأنا به الكلام، ليس هو عدم الفهم، بل هو موت الرغبة في الفهم والعلم.



لأن قلة الفهم والاستيعاب ولأن انعدام الفقه بحقائق الأمور والمعاني والأسرار، جعلتهم يعيشون حياة لا يكترثون بالشر ولا بالخير، ولا يعلمون الحق من الباطل، وليس لهم قدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، فهم يخبطون في أقوالهم وأعمالهم ويتصرفون وفق أهوائهم وشهواتهم وما تُمليه عليهم عقولهم الفارغة.

فرجاء أخي القارئ، أختي القارئة، افتح هذا القفل، واسترجع فطرتك الإنسانية في حب الحقيقة والبحث عن المعنى، افتح القفل وارمه بعيدا عن قلبك واعطني عقلك... واسمع مني كلاما، هو موجود في كتاب الله عز وجل وموجود في ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه غاب لأسباب عُرفية وأخرى ثقافية وأخرى لغوية، وأخرى خافية...

وكل الذي أفعله الآن بهذه الكلمات التي بين يديك أنني أقشع حجب الأعراف، وأبدد ظلمات الثقافة الفاسدة، وأجلِّي المعاني وأجددها حتى أقرّبَ إليك بعض الحقائق لتستقر في قلبك وعقلك فيسهُل عليك العملُ والعيشُ بها في حياتك.

القفل الثاني-انفصال الكلام عن المتكلم

وأول حقيقة أحب أن أنبه عقلك وقلبك إليها هي الحقيقة الكامنة في هذه الرسالة:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا

فعندما تطالِعُ من القرآن هذه الآيات وهذه الرسالات، تجد في مواضع كثيرة: كتاب الله، كلام الله، ما أنزل الله، ما أوحي إليك من ربك... وما إلى ذلك من المعاني التي تُنبِّهُكَ إلى حقيقة عظيمة، وهي أن هذا الكلام تكلّم به الله! الله! اللهُ العظيم الجبار الملك! خالق السماوات والأرض! المحيي المميت! هل تعلم معنى ذلك أيها القارئ؟؟ لا والله لا أنت ولا أنا... ولابد إذن من ضرب الأمثال حتى يتضح المقال.

تخيل معي أنك تمشي على الرصيف، فإذا بمركبة سوداء مهيبة تتوقف أمامك، وينزل رجل في لباس رسمي مهيب، فيقول لك، **أأنت فلان؟** تقول: **نعم هذا هو**. فيقدّم إليك ظرفا. ويقول، **هذه رسالة من رئيس الحكومة موجهة إليك، واعلم أن حركاتك وسكناتك تحت المراقبة.**

فيسلّمها إليك ويرجع إلى المركبة. ثم تنطلق...وأنت تظل واقفا لا تستطيع أن تتحرك تنظر إلى السيارة وهي تختفي في الأفق...

ثم بعد ذلك تنظر إلى الظرف بين يديك وتتردد أن تفتحه، لأنك عَلِمتَ أن هذه رسالة ليست كأي رسالة. ثم بعد لحظات، تقرر أن تفتحها، فإذا بنبضات قلبك تتسارع وإذا بالدم من عروقك يتراجع، وتشعر بضباب في بصرك وطنين في سمعك. وتفتح الظرف وتستخرج الرسالة، وتقرأها... وتنتقل بين الكلمات... وتنظر وتتأمل... قل لي بربك هل ستغفل وتسهو؟ هل ستشرد بذهنك؟ هل ستدع كلمة غير مفهومة تمر عليها ولا تتأكد أنك فهمتها على الوجه الذي قصده رئيس الحكومة؟... لا، طبعا لا. ستقرأ الرسالة بتركيز وانتباه شديدين وإذا لم تفهم كلمة من الكلمات أخذت تسأل من حولك أن يشرح لك...

ودعنا نتساءل... لماذا يتعامل المرءُ مع رسالة كهذه بهذه الحساسية والقمة في الانتباه واليقظة؟... لماذا فتحتَ الرسالة وأنت مُمتلئ بالدهشة والقلق لا ترمش؟

والجواب – وقبل الحديث عن محتوى الرسالة – هو أن الذي أرسلها إليك ليس شخصا عاديا، وليس أي أحدٍ، ولا يليق بجناب رئيس الحكومة أن نتعامل مع كلامه بقلة الاكتراث واللامبالاة أو أن نُخطِئ في فهم كلامه. أليس كذلك؟ فقد يكون مآل ذلك السجن والتعذيب...

ولا حول ولا قوة الا بالله... سبحانك ربنا إنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت... سامحنا ربنا ما قدرناك حق قدرك...

فإني والله لا أجد الكلمات التي تنقلني إلى الحديث عن الله... فهل يليق **برسالة الله العظيم، ملك الملوك، قاهر الجبابرة، الرحمان الرحيم**... هل يليق **بكلام رب العالمين** أن يُقرأ بلا فهم، وأن يُحفظ بلا علم، وأن يُهجر سماعه، وتُهجر تلاوته، وأن نتبرك به ولا نعمل بما فيه من أمر ونهي؟ أليس هذا ضرب من الاستهزاء؟ أليس هذا ضرب من اللامبالاة؟ أليس هذا ضرب من الجنون؟

لكني لم أكتب هذه الكلمات لألقي اللوم عليك أخي القارئ، أختي القارئة... لا، لا.. بل كتبتها لأنبهك عن أصل المشكل، لماذا لا نتعامل مع كلام الله بما هو أهل له ويستحقه؟
كيف سقطنا في هذه الخطيئة العظيمة، فلم نقدر نعمة رسالة القرآن؟

بكل بساطة، لأن المشكلة تكمن في كوننا فصلنا الكلام عن المتكلم، فلا نستحضر في قلوبنا وأذهاننا عند سماع القرآن وقراءته والحديث عنه، أن هذا كلام المكتوب في المصحف هو في الحقيقة كلام تكلم به رب الأرباب، وحديث تحدث به رب الإنس والجن وإلههم؛ الخالق البارئ المصور، سبحانه. وهذه نصف المصيبة... أما النصف الثاني، فإننا وإنْ عَلِمنا أنه هذا الكلام كلام لله، فلا نزال نفشل في تعظيمه وتقديره واحترامه والاهتمام به... لماذا؟ لأنه بكل بساطة، لا نعلم عن ربِّنا شيئا! ليس عندنا ما يخلق بداخلنا ويبعث فينا تعظيمَ كلامِه... فلا نعلم عن الله إلا ما تُمليه علينا ثقافتنا الفاسدة وما نسمعه هنا وهناك من معلومات لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تكفي لتغذية فطرتنا بمعرفة الله وحُبِّه.
كم تعلم من أسماء الله وصفاته؟ وكم من الأسماء التي تعرفها تُتقن معناها؟ وكم منها مما تعرف معانيها جيدا تذْكر الله بها وتدعوه وتتعبده بها؟

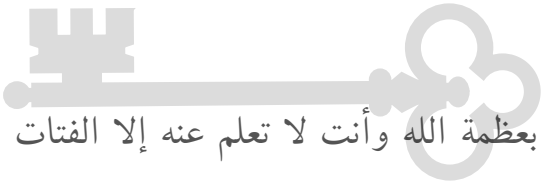
هل سبق ونظرت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقته بالله؟ لِتَعلَم كيف يتعامل من يَعرِفُ اللهَ حق المعرفة ومن يحبه، ويعرف قدرهُ سبحانه، مع كلامه؟ هل وقع في ذهنك يوما أن تتعامل مع الله كما كان يتعامل معه نبيه وحبيبه – صلى الله عليه وسلم –؟

ومما يدل على قدر معرفتك بالله عظمة وأهمية كلامه، أن تسأل نفسك: هل سبق أن دعوتَ الفتّاح العليم يوما أن يفتح لك بابا لمعرفته والتقرب إليه والاتصال بكلامه؟ هل تعلم من هو الخالق البارئ المصور؟ هل تستشعر تقدير الله وتدبيره وإحاطته وقدرته؟ هل تنظر في الأرض وفي السماء وتتأمل في بديع صنع الله؟

كل هذه الأسئلة تُخبِرك بمدى معرفتك بالله وحبه ومقدار الاتصال بكلامه سبحانه.

ثم، خذها مني علما وتجربة... القرآن يأخذ عظمته من عظمة الله، كما يكتسبُ أي كلامٌ عظمته من عظمة المتكلم به...

ومن لا يُعَظِّمِ اللهَ ويُجِلَّه ويُقَدِّره، فحَظُّهُ من النّقص في ذلك هو حظُّهُ من النَّقصِ في تعظيم القرآن وإجلاله وتقديره...



فكيف تريد أن تملأ قلبك بعظمة الله وأنت لا تعلم عنه إلا الفتات الذي لا يغني ولا يُنجِي؟

لذلك، أدعوك لتفتح هذا القفل الصدِئ، واندم على ما فاتك من العلم بالله ومعرفته، وتخلص من الرضا بالجهل...افتح القفل، فإن في فتحه نجاة وانتقال من حال الموت إلى الحياة، ومن حال الشقاوة إلى السعادة... افتح القفل بأمرين، اعرف عظمة الله من خلال أسمائه وصفاته – وسأشارك معك كيف في نهاية الرسالة –، ثم لا تقرأ القرآن إلا وأنت مُستحضِر لحقيقة أن الله العظيم الكبير، الحميد المجيد هو الذي تكلم به، وانْكسِر أمام آياته وتواضَع أمام كلماته، كما تتواضع أمام أستاذك ومربيك... فإن ذلك يُدخِلك إلى عالم القرآن ورِحابه من أوسع أبوابه...

واعلم أن هذا الكلام الذي شاركته معك هو معنى "بسم الله الرحمن الرحيم"، أن تقرأ القرآن باسم الجلالة، الله الملك العظيم، الله الرحمن الرحيم... أن تقرأ القرآن وأنت مستحضر لمعاني هذه الأسماء؛ الله، الرحمن، الرحيم... ولهذا جُعلِت في مبتدأ سور القرآن، فتأمل!

القفل الثالث

الفهم الخاطئ للنبوة ودور النبي صلى الله عليه وسلم

من الأقفال التي تحجب بيننا وبين الوصول إلى حقيقة القرآن وتعظيمه والعمل به، هو تقصيرنا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناتج عن جهلنا بسيرته وحديثه وحقيقة نبوته.

من هو هذا الرسول؟ – صلى الله عليه وسلم –

هذا السؤال، هو في الحقيقة سؤال عن كيف وصلتنا رسالة الوحي من الرحمن الرحيم. والذي لا يُدرِك كيف وصل إلينا القرآن، لا يستطيع أن يتعامل معه تعاملا سليما صائبا. ولابد أن يكون عنده نقص حاد في حبه للقرآن وتعظيمه له، فيكون ذلك سببا في التقصير في حق القرآن كلام الله، والذي هو تقصير في حق الله.

وباختصار شديد، فإن القرآن العظيم الذي تكلم به خالِقي وخالِقك، هو كلام مختلف عن كلام البشر، فإن الله "**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**"، وكلامه سبحانه خارق للطبيعة، في غاية القوة والعظمة لا يستطيع البشر أن يتحمله لا سماعا ولا تلاوة ولا في أي شيء، ولكن الله يسره فقال: "**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**"... كيف يسره؟ يسره عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم.

الإنسان لا يستطيع على قوة كلام الله الجبار القهار العظيم، إلا بأسباب تخفف له وتيسر له تلقيه، وأدعوك للنظر في قصة سيدنا موسى عليه السلام، كليم الله، ما الذي جرى له عندما سأل أن يرى الله جل في علاه.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

اختص الله سيدنا موسى عليه السلام برسالته وبكلامه، ويسر له سماع كلامه العظيم حتى يستطيع أن يرجع إلى قومه فيبلغهم. ولمّا لم ييسر الله رؤيته له وطلبها سيدنا موسى عليه السلام، كانت النتيجة أن يصعق، ولولا لطف الله لاختفى سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم.
فالإنسان العادي في هذه الدنيا، لا يستطيع أن يستقبل كلام الله مباشرة لأنه لا يتحمل بضعفه وبشريته. ولكن الله سبحانه اختار محمدا صلى الله عليه وسلم، أن يعطيه هذه القدرة ويتحمل فيها المشاق، حتى نسمعه منه بعد ذلك سلِسا طريا ناعما...

كانت عَائِشَةُ زوج النبي صلى الله عليه وسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول : "**وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**". بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم.

والجهل بهذه الحقيقة يجعل الإنسان يستسهل ولا يُقدِّر الكلام المكتوب في المصاحف ولا يعطيه قيمته التي يستحقها. وقد يعتقد أن هذا الكلام وصل إلينا بسهولة... أما الذي وقع، هو أنه من أجل إيصال القرآن إلينا فقد عانى وقاسى كثير من الناس ابتداء من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تلقاه من جبريل عليه السلام ثم بلّغه لمن حوله فآمن من آمن فأخذت شياطين الإنس والجن تحاربهم وتطاردهم وتقتلهم وتشردهم حتى يُعرِضوا عن كلام الله. ولكنهم رفضوا ذلك وضحوا وبلّغوا رسالة الله من جيل إلى جيل، حتى وصلنا كلامه سبحانه منتشرا في المصاحف ونسمعه كل يوم. والجاهل بتفاصيل النبوة وحقيقتها وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم هو في الحقيقة جاهل بقصة القرآن وتاريخه وحقيقته. والذي لا يعرف هذه الحقائق لا يستطيع أن ينظر إلى القرآن بحب وعظمة وتقدير، لأنه بالنسبة له كلام كأي كلام... سبحان الله!

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ

القفل الرابع

الجهل بحقيقة الإنسان وحقيقة القرآن

آآه، من أين أبدأ الكلام عن هذا القفل!!...وليس في هذه الدنيا وفي هذا الوجود من كلام أفضل وأحسن وأبلغ من كلمات الله حيث قال سبحانه:

ٱلرَّحۡمَـٰنُ.. عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ.. خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ

فالقرآن والإنسان بينهما رابط قوي في قدر الله، وعلاقة كونية متداخلة متينة، إذا اختلت اختل ميزان الوجود كله وفسدت الأرض وهلك الإنسان. ذلك لأن الله عز وجل هو الذي خلق كل شيء في الكون فقدره تقديرا. ثم خلق الإنسان، وأخبره سبحانه فقال:

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعا.

وقال له:

أَلَمۡ تَرَوۡا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم
مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَة وَبَاطِنَة
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡم وَلَا هُدى وَلَا كِتَـٰب مُّنِير

فكل ما في الأرض موجود من أجل الإنسان وتمهيد وتهييئ البيئة له ليحقق الغاية من وجوده، ولكن مع هذا فإن المخلوق البشري لا يستطيع أن يتعامل مع هذا الكون بالشكل الصحيح من نفسه، إلا إذا كان هو الذي خلقه بيديه خبيرا به عليما بكل تفاصيله! والله عز وجل يقول:

مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا

فالإنسان حتى مع نفسه هو لا يستطيع أن يتعامل معها بسلامة ولا أن يضمن أنه لن يؤذي نفسه، ولا يقدر على إدارة حياته بما يُصلِحُها، وذلك بجله بكثير من الأمور. فتجده دائما غير قادر على معرفة ما سيحدث في المستقبل وما الذي سيحدث لو قرر كذا، وما الذي ينتظره لو فعل كذا... فيستحيل عليه أن تتحقق له رغباته وأحلامه وخططه كما يتصورها، **لماذا؟**

لأنه بكل بساطة ليس هو الذي خلق نفسه وخلق الكون، وليس هو الذي يدير الحياة ويعلم المستقبل ويدبر الأمور ويملك الكون ولا هو الذي يقدِّرُ الأقدار والمكاتيب... لكن الله يعلم!!! وقد تكلم بكلام فيه هذا العلم وفيه أسرار الوجود وفيه من الأمور التي إذا تعلّمها الإنسان وعمِلَ بها ينجو ويسعدُ ويَسلم!!!

ولا يستطيع الإنسان أن يعلم كل شيء بالرغم من تقدم العلم وتطوره كل سنة. لأن هذا العلم نفسه هو نعمة من الله، وهو الذي يعطيه للإنسان... وهو لا يعطيه كلّه، قال لنا سبحانه:

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ

وأخبرنا كذلك في رسائله إلينا – وهي الآيات – أنه سخَّر لنا الأرض وجعلها لنا ذليلة مطيعة حتى نستخرج منها ما نريد وحتى نستغلها كما نشاء، وتقدم العلم والتقنية هو من هذا التسخير. قال سبحانه:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ

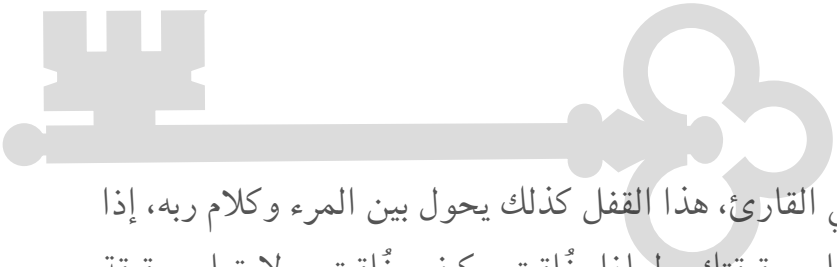
ولننفض الغبار عن عقولنا وقلوبنا ونتأمل ونسأل، لماذا سخر لنا كل شيء، مع أننا لسنا الذي ندبر الكون وأننا نجهل حقائق الغيب وتفاصيل الشهادة. لماذا أعطانا الله هذه القدرة مع أننا لا ندري ما الذي يحدث في الكون غدا. هذا سؤال عظيم... وهذا هو سر تواجد آدم وبنيه في هذه الأرض، أن يختبرنا الله في مدى انقيادنا لأوامره.

فمع جهلنا يعطينا الحرية التامة في الاختيار، وأعطانا مع الحرية دواء الجهل؛ **وهو القرآن.**

وهنا يظهر لك معنى الاستسلام والإسلام.

فقد أعطى الله الحرية للإنسان، وأنزل عليه القرآن، وقال له: إنك يا عبدي جاهل لا تستطيع أن تحقق مصالحك ومنفعتك في الدنيا والآخرة إلا بالعلم، وهذا العلم ليس عندك، ولرحمتي بك، أنزلت عليك نصيبا من العلم، إذا تَعلمتَهُ وعَمِلتَ به وتتبعت ما فيه، تكونُ قد نَجحتَ في تحقيق المصالح كلها؛ وهذا هو الإسلام... **أن تُسلّم بما جاء في كلام الله وتعمل به ولو لم تعلم حكمته وعلّته.**

وذلك كما تُرشِد الأم ابنها، وينصح الأستاذ تلميذه فيقول له، افعل كذا ولا تفعل كذا فإن هذا فيه خير لك. وتقول الأم، اسمع كلامي فإني سبقتك في الدنيا ولدي من الخبرة ما ليس لديك. فتُسلّم لأمك لأنك تثق في كلامها، لأنك متيقن أنها رحيمة بك لن تضرك. وكذلك، ولله المثل الأعلى، الرحمن الرحيم الذي أنزل علينا القرآن وهو الخبير بعباده، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟ فقال لك اسمع مني يا عبدي ما يُصلح شأنك في الدنيا والآخرة، وآمن بي – كما يقول لك المعلّم ثق بي، ولله المثل الأعلى سبحانه – فالإيمان بالله هو قمة الارتياح لله عز وجل العليم بكل شيء، الرحيم الذي رحمته وسعت كل شيء، **فأنت تؤمن بالله لأنك متيقن أنه خبير حكيم رحيم، سبحانه.**



إذن يا أخي القارئ، هذا القفل كذلك يحول بين المرء وكلام ربه، إذا كنت لا تعلم حقيقتك ولماذا خُلِقت وكيف خُلِقت، ولا تعلم حقيقة القرآن ولماذا أنزِل على الإنسان، فقد يكون هذا الجهل سببا في سوء التعامل مع هذا الكتاب العظيم الذي من عرف قدره فَرِح به أشد الفرح... نعم. ألم يقل ربنا تبارك وتعالى:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.. قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

القفل الخامس

الهوى وسائر الأمراض النفسية

قال سبحانه في آية مخيفة مُفزِعة:

فَمَن ثَقُلَت مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ.. وَمَن خَفَّت مَوَٰزِينُهُۥ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ..
تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ.. أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ.. قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّين

وهذا القفل من أخطر الأقفال في الحقيقة. وقلّ من يسْلم من هذه الآفة وهذا المرض، وأعوذ بالله وأعيذك بالله أيها القارئ من ذرة منه. فإنه لا ينفع معه علم ولا وعي. هذا القفل هو معاندة النفس وتغلُّب كبريائها وتحكم أهوائها، حتى ترمي بالإنسان في الضلال البعيد بعد أن رأى الحق بعينيه. في هذه الآية التي قرأتها للتو، يخبرنا الله عز وجل عن صنف من الناس يوم القيامة حتى لا نكون منهم، وكأنه يحذرنا سبحانه ويقول، احذر أن تكون من هؤلاء الذين سمعوا كلامي وفهموا معناه، ولكنهم غلبت عليهم شهواتهم وأهواؤُهم، وكانوا كلما تُليت عليهم الآيات يقولون هذا الكلام ليس حقيقي ولا ندري ولا نعلم الحقيقة و ينسجون مختلف عبارات الإعراض و التكذيب.

والإنسان الصادق الذي يريد النجاة يُسلّم لكلام ربه ولا يقول كيف ولمَ؟ لأن هذا يضرب في صميم إيمانه وثقته بالله وخبرته وحكمته وعلمه، و كيف تطرح هكذا أسئلة بعدما رضيت بالله ربا و بالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا وأيقنت أن القرآن كلام الرحمن.
ومرض الهوى والكبر قد انتشر في الناس انتشار الأكسجين في الهواء، لا تجد أحدا إلا ويريد أن يعيش كما تملي عليه نفسه وكما يهوى قلبه. ولو تأمل المرء في هذا الحال لعَلِم أنه يحيى حياة هي عكس حياة المسلم الذي يعيش كما يُملي عليه ربه ويقول ويفعل ما يريد منه سبحانه أن يقول ويفعل. اسمع أخي القارئ، أختي القارئة... اسمعوا كلام ربكم بقلوبكم:

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

ومن أعراض هذا المرض أن يتعامل الإنسان مع القرآن كما يريد ويهوى وليس كما يريد ربه. فالله عز وجل يريد منا أن نتدبر القرآن ونفهمه ونعمل به، والناس اليوم تريد أن تقرأ القرآن دون فهم ومنهم من يريد حفظه دون تدبر، ثم بعد ذلك يعتبر نفسه من أهل القرآن ومن أهل الله و خاصته.

و لا شك أن تلاوة القرآن أمر عظيم، وحفظه في الصدور كذلك أمر عظيم. ولكن الله عز وجل يأمرنا بأمور أخرى أولى. ودعني أَعُد أيها القارئ الكريم إلى رشيد مع أمه. تخيل معي، وهو جالس في المطبخ صباحا يتناول وجبة الفطور مع أمه، فتقول له، هل لديك ورقة؟ يقول نعم، فتقول خذها واكتب سأملي عليك أغراضا لابد أن تأتيني بها قبل الظهر، اكتبها وعلقها في الثلاجة حتى لا تنسى. فيقول حاضر. ثم تغادر الأم وتتركه على طاولة المطبخ. فينظر في الورقة التي كتبها ويتأمل فيها، ويقول حسنا الآن سنعلقها في الثلاجة، فيعلّقها ويخرج. ثم بعد الظهر بعد أن تلتقي الأم بابنها في البيت مرة أخرى وتتفقد الأغراض، لا تجد شيئا. فتقول له أين المشتريات؟ يقول لها لقد كتبتها وعلقتها في الثلاجة كما طلبتِ، فتنظر الأم إلى منصة المطبخ التي تضع فيها أنواع المقالي والأواني، لتبحث عن مقلاة تناسب حجم رأسه ...وأترك لك نهاية المشهد تتخيلها.

ألا يستحق رشيد العقاب؟... للأسف نعم... ولتعلم أخي، أختي، أن هذا القفل هو أشد الأقفال انسدادا، ولكنه سهل الفتح على من صدق الله وأخلص له وسأل الله أن ييسر له فتحه. وقصة الأقفال لا تنتهي هنا، ولكني حاولت أن أعرض لك وأنبهك على بعض الأقفال المتفشية اليوم التي تحول بيننا وبين القرآن...

ما الذي يريده سبحانه من عباده تجاه القرآن؟

كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ

أولا، أحمد الله عز وجل أن بصرني وإياك بهذه الحقائق، وحَمدُ اللهِ وشُكره سبب في مزيد النعمة والفضل.

ثم نقول مستعينين بالله، أن الله سبحانه وتعالى أعلمنا كيف نتعامل مع القرآن في القرآن نفسه. ففي كتاب الله رسائل وآيات تعطينا توجيهات مباشرة في كيفية التعامل مع القرآن وهي كثيرة ولا تحصر سأذكر بعضا منها.

ولكن قبل ذلك، لابد من الإشارة إلى أن الجواب على كيف يريد الله منا أن نتعامل مع الوحي نستطيع أن نجده من عدة سُبل.

السبيل الأول -

طريقة التعامل مع القرآن من أسمائه

إن الله عز وجل حين يتعامل مع البشر يتعامل معهم بالطريقة التي تناسب عقولهم وفطرتهم وتركيبتهم. فنحن البشر نعطي الأسماء للأشياء حتى نميزها عن غيرها ولنعطيها الصفة التي تناسبها، فمثلا، سُمِّيت السيارة بهذا الإسم لأنها تسير. وسُميت الطائرة لأنها تطير. وسميت الثلاجة لأنها تُنتج الثلج. وسميت المِدفأة لأنها تُدفِئ... وهكذا فالأسماء في الحال الطبيعي تدل على معنى في ذلك المسمى.

والله عز وجل حكيم خبير أعطى القرآن الكريم أسماءا لِنُميّزه بها ونعلم حقيقته من خلالها. فهو عز وجل بهذه الأسماء يُخبرنا أن لكلامه صفاتٌ معينة لابد أن نتعامل معه وِفقَها وبناء عليها. فمثلا سُمِّي كلام الله: القرآن – والقرء في اللغة هو الجمع – ليدلك على أن المعاني والحقائق مجموعة فيه. وكذلك يخبرك الله بتسمية كلامه القرآن، حتى تقرأه دائما، فهو كلام لابد أن يُقرأ دائما، وكلمة قرآن على وزن فُعلان في اللغة تدل على المبالغة والكثرة. فالقرآن هو الكلام الذي يُتلى وتُكرر تلاوته ولا تنقطع. و سأذكر بعض أسماء القرآن وأترك لك الباقي لتبحث عنه بإذن الله.

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ **ٱلْفُرْقَانَ** عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا

من أسماء كلام الله:

الفرقان. ومعناه الكلام الذي يعينك على التفريق بين الحق والباطل والخطأ والصواب والخير والشر. فتسمية القرآن بالفرقان دليل على أن فيه قواعد وفيه أوامر إذا فمهتها وآمنت بها تستطيع أن تكون قادرا على اتخاذ القرارات بشكل صحيح وتستطيع أن ترى مصلحتك ومصلحة غيرك وتستطيع أن تقارن بين العمل الجيد والعمل الأفضل منه.

وهذا الإسم يدعونا للتعامل مع القرآن بصفة الفرقان، أي أننا عند اختلاط الأفكار وتنازع الآراء، وعند الحيرة والقلق واضطراب النفس، وعندما يعجز الإنسان أن يتخذ القرار الصحيح، أو أن يحكم على الوضع حكما سليما، في هذه الأحوال وغيرها يرجع الإنسان إلى كلام الله وينظر فيه ويبحث فيه عن الرسائل والآيات المتعلقة بالموضوع، فيقع على الهداية التي تُخلصه من الحيرة ويكتشف الحل الذي يجعله يتخذ القرآر الصحيح. وكذلك ينظر إلى الناس بالقرآن فيعلم المنافق والمسلم والمؤمن والكافر والصادق والكاذب، والإنسان بلا قرآن لا يستطيع أن يفرق ويميز بين الناس فيخدعونه ويؤذونه.

فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ومن أسماء القرآن كذلك:

النور: ما هو النور؟ النور هو الضوء الذي يعين الإنسان أن يرى في الظلمة، فيبصر الأشياء على حقيقتها فلا يتعثر فيها ولا يدوس بقدمه عليها. النور هو الذي يجعل الإنسان يحقق مصالحه وما ينفعه ويتجنب المفاسد وما يضره. النور هو الذي يكشف لك حقيقة الأشياء. وهذه المعاني وغيرها يريد الله عز وجل أن نراها في كلامه عندما يسميه النور.

وهذا الاسم يُخبِرنا ويُعلمنا أن نرى حقيقة الوجود والكون و حقيقة هذه الدنيا المُظلمة لولا نور الله.ولا يستطيع الإنسان أن يرى فيها المنافع والمضار إلا إذا سلّط عليها نور القرآن. ونستخرج من هذا الاسم أن التعامل الصحيح مع القرآن يكون باللجوء إليه كلما شعرنا بالظلمة في أنفسنا أو في عالمنا فنلتمس الضوء في كلماته ومعانيه حتى نهتدي في ظلمات البر والبحر. وطبعا، لا يتحقق هذا إلا بمخالطة القرآن وفهمه وتدبره.

قُلۡ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ

ومن أسمائه:

الوحي: هذا الإسم عجيب. كلمة الوحي في اللغة العربية تعني الإشارة، وهي الرسالة الخفية اللطيفة التي تصل إلى صاحبها دون أن يشعر بها مَن حولَه. ويسمى كلام الله وحيا لأنه نزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة، فقد أوصله الله إلى نبينا الحبيب بشكل خفي لا يراه البشر. وفي اسم الوحي معنى آخر. وهو أن الله عز وجل من خلال القرآن يوحي إليك ويشير إليك ويبعث لك رسائل خاصة في كل مرة تناسب ظروفك وأحوالك. وكذلك يعني أن القرآن كلام لا تنتهي معانيه. فهو شلال من المعاني المتجددة تتدفق و تتفجر في كل لحظة، لكن هو كذلك فقط للمسلم الذي يُطِيل مُصاحبته وقراءته بفهم وتمعن وتدبُّر، ويكون مُعظِّما له و مستحضرا أنه وحي من عند الله.

هذه بعض الأسماء التي تصف كلام الله. وفي القرآن نفسه وفي كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسماء كثيرة سُمِيَ بها كلام الله حتى نعرف طبيعته وحقيقته. فلا تتوقف عند هذا الحد وابحث عن باقي الأسماء لتتعرف على القرآن أكثر.

السبيل الثاني-

طريقة التعامل مع القرآن من خلال آياته

ما الذي يقوله القرآن عن نفسه؟ ما الذي أخبرنا به الله سبحانه وتعالى في رسائله عن القرآن؟

وهذا السؤال أرجو من الله أن يكتبه لي ولك أجرا عظيما، وأدعوك لتكون صادقا مُخلصا راغبا في الله متحرّقا متشوقا لتعرِف الإجابة. فإن هذا السؤال يعني أنك لا تريد أن تتقدم على الله فتفعل ما يحلو لك مع القرآن وتتعامل معه بهواك. وتَضَعَ أنتَ الأجوبة على السؤال، ولكنك تريد أن تعلم جواب الله وقوله في هذه المسألة إنه هو العليم الحكيم. وهذا هو منطِقُ القرآن. أن تُفكِّر وتتصرف بناء على ما جاءك في رسائل القرآن. قال سبحانه:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم

جميل... الله عز وجل تحدث معنا في هذا الموضوع وأنزل إلينا آيات بيِّنات في هذه المسألة، مسألة التعامل مع القرآن. فقال مثلا:

كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَـٰبِ

ماذا تعني هذه الآية؟

تعني أن هذا الكلام الذي أنزلته إليكم وقد حفِظتُه لكم في كتاب، فيه بركة، والبركة تعني الخير الكثير الذي تتلقاه بغير مجهود وبدون حُسبان.

يقول لنا سبحانه أنه أنزل إلينا هذا الكتاب المبارك... لماذا؟ لأي غرض؟ ليدبروا آياته. يعني ليتمعنوا في كلماته ورسائله وليفهموا المقصود منها ويعتبروا بها، و هذه الآيات فيها بركة عظيمة لمن قرأها وفهمها وعمل بها. وكأنه سبحانه يقول لك، الهدف الذي أنزلت من أجله القرآن هو أن تفهمه. ولكن للأسف، أصحاب الأقفال، اهتموا بالحفظ وكثرة التكرار بدون فهم، فيا ليتهم فهموا وتدبروا محفوظهم فيكون الخير خيرين.

وهذه آية أخرى:

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ ٱللَّهُ

هذه الآية تقول لنا أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا أنزله الله لنحكم به في حياتنا ونجعله حاكما علينا. فمنه نستخرج القوانين ومنه نستخرج الحقوق ومنه نستخرج الأحكام ومنه نستخرج النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي، الخ.

ومنه نستهدي في كل جوانب الحياة. وهذا يحتاج طبعا إلى فهم آياته وتعلم معانيه حتى نكتشف أسراره. ولا نتسرع في الحكم على أن القرآن لا يتضمن حلولا تتعلق بجانب من جوانب الحياة. وهذا يحتاج لقراءة التفسير والتدبر وفهم حقائق القرآن.

ويضيق المقام على جرد كل الآيات في القرآن التي تتكلم عن القرآن نفسه وتُملي علينا طريقة التعامل معه. ولذلك أدعوك للانطلاق في متابعة تفسير مسجل على اليوتوب كسلاسل الشيخ أحمد عبد المنعم، أو تقرأ تفسيرا ميسرا باذن الله مثل تفسير السعدي رحمه الله وهو موجود في المكتبات بثمن يسير.

إذن ما المطلوب؟ كيف نصل إلى القرآن؟

ما هو أفضل تعامل مع القرآن

قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي ﷺ

كان خلقه القرآن

منتهى الغايات في الإنسان، هي التخلق بالقرآن، وكذلك محمد ﷺ كان. لكنها غاية شريفة تسبقها غايات أخرى توصل إليها، وكلها تحتاج إلى صدق وإخلاص وتضرع في الدعاء...

غاية الغايات: التخلق...

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

وهذه الغاية يتجه إليها المرء بعد أن يصطبغ عقله وفكره بأشرف المعاني في القرآن الذي لابد أن تُبصَر حتى يُتَوصل إلى الغاية: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"، قال أهل العلم، أقوم صفة لمحذوف تدل على العموم والشمول، فالقرآن كتاب يبين لك أفضل خيار وأحسنه في كل شيء، وهو محل الابتلاء في بني آدم، إذا قال سبحانه: "ليبلوكم أيكم أحسن عملا"... فالنظر للقرآن بهذا المعنى يجَرّد الإنسان من فكره ويدفعه ليستشير القرآن في كل حركة ليحقق به أجود الأقوال والأفعال في حياته، وبذلك يتحقق التخلق به... إلا أن...

هذا المعنى وهذه الغاية، تحتاج إلى العلم بالله و تعظيمه، ويحتاج إلى غرس للمعاني القرآنية في النفس حتى لا تنتكس وتهوى إلى الضد. ولا يتحقق هذا إلا بالتدبر وتكرار التلاوة. إذ أن التدبر يورث الفهم، وتكرار التلاوة يُعرِّض النفس لمبادئ الوحي ومنطقه باستمرار حتى يستقر فيها فتتحرك لتطبقها في الواقع. ومن هنا جاءت الدعوة إلى القراءة وإدامة التلاوة وتدبر القرآن...

فيكون المعنى هنا، أن القرآن مليء بالعلوم والحكم والأسرار النافعة التي لابد أن تُستخرج، والغاية أن تُفهم وتستقر تلك المعاني في النفوس. فجاء كلام الله وكلام رسول الله ﷺ يحث على القراءة والتدبر والفهم. قال سبحانه وتعالى:

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ

وقال ﷺ: "**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**"، ولكن هذا المعنى وهذه الغاية تحتاج إلى مرتبة قبلها، وهي أن يُعظِّم الإنسانُ القرآنَ ويُقدسه ويتعلق به.

وكثير من الثواب لا يتحقق في الدنيا والآخرة إلا بالوصول إلى الغاية النهائية. وإلا فإن من الكافرين والمنافقين من يحفظ القرآن ويحسن تجويده، فلا يتصور أن يقال له يوم القيامة: " اقرأ ورتل وارتق كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها" كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك أيضا، الدعوة إلى الاستماع الى القرآن لتحقيق الرحمة، والرقية به لتحقيق الشفاء، وغير ذلك مما يعظم القرآن في النفوس ويخرج معاني القرآن إلى الأبعاد الكونية حتي يستقيم الواقع به. فالرقية تصحيح للجسد، والجهر بالقرآن يؤثر في عالم الجن والملائكة، الخ... وهذه الغايات لاتلغي بعضها مع اختلاف مراتبها، فوجودها كلها يحقق الغاية الأخيرة في الإنسان ذاته وفي الكون من حوله. والانحراف وقع في الجهل بهذه المراتب، والوقوف عند بعضها.

وانظر في حالك مع القرآن واجعل غاية الغايات نصب عينيك ترتقي في المراتب حتى تبلغها...

اللهم اجعلنا من أهل القرآن من أهلك وخاصتك يارب...

كتب وسلاسل تُعين على فهم القرآن والتخلق به

وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْما

كتب وتفاسير

- هذه رسالات القرآن: فمن يتلقاها؟ — فريد الأنصاري
- **مجالس القرآن — فريد الأنصاري**
- الطريق إلى القرآن — إبراهيم السكران
- رقائق القرآن — إبراهيم السكران
- أول مرة أتدبر القرآن — عادل محمد خليل
- مفاتح تدبر القرآن — خالد بن عبد الكريم اللاحم
- **تفسير الكريم الرحمن — عبد الرحمن السعدي**
- **معالم التنزيل – أبو محمد بن مسعود البغوي**
- التصوير الفني في القرآن — سيد قطب

سلاسل على اليوتوب

- إنه القرآن — أحمد عبد المنعم
- سلسلة تفسير القرآن للشعراوي
- سلسلة العيش مع القرآن – أحمد الهاجري
- دورة تيسير التدبر – بالوحي نحيا
- أقومية القرآن – نايف بن نهار
- كيف يمكن فهمك للقرآن أن يغيّر حياتك بالكامل؟ – نايف بن نهار
- أنا صاحِبُك القرآن. كيف يكون القرآن صاحبي؟ – أحمد العربي
- كيف يفتح لنا القرآن أبوابه؟ – فداء الدين

التحق بمجتمع القرآن نتعلمه سويا



الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب

ما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وما كان من صواب فمن الرحيم الرحمن.

جعلني الله وإياك من أهله وخاصته، من أهل القرآن